## الأُمة الإسلامية.. هي الأُمة الوسط



◄(وكَذلكَ جَعلناكم أمَّةً وسطاً لـِتكُونوا شُهداءَ على النَّاسِ ويكونَ الرسولُ عليكُم شهيداً) (البقرة/ 143).

في هذه الآية حديث عن الأُمَّة المسلمة بأنَّها "وسط" فيما جعله ا□ للمسلمين من موقع قيادي في الحياة، وإنَّها شاهدة على الناس، وحديث عن الرسول بأنَّه شاهد على الأُمَّة.. فكيف نفهم هذه "الوسطية" وهذه الشهادة.

وقد جرى بعض المفسرين في تفسير هذه الكلمة من المعنى اللغوي فأخذوا منه معنى العدل والتوازن على أساس ما تمثّله الشريعة الإسلامية من الوسطية بين الاتجاه الروحي المتطرّف الذي يمثّله النساري وبين الاتجاه المادّة الإسلام يأخذ من الروح جانباً ومن المادّة جانباً لتكون الحياة - كما خلقها الله عنية التزاوج بين الروح والمادّة، وتتمثّل في التوازن بين الاتجاه الجماعي المتطرّف الذي يلغي دور الفرد والاتجاه الفردي المطلق الذي يلغي دور المجتمع في الحياة، فأعطى للفرد دوره فيما يحقّق ذاته دون أن يغمط حقّ الجماعة في نطاق قضاياها العامّة، وأعطى للفرد دوره فيما يحقّق ذاته دون أن يغمط حقّ الجماعة ألوسطي إلى العامّة، وأعطى للجماعة دورها فيما لا يلغي للفرد نوازعه الذاتية الطبيعة. ويمتد الخطّ الوسطي إلى التوازن بين الدنيا والآخرة فللمسلم أن يـُقبل على الدنيا ويستمتع بطيّباتها من دون أن يـُسيء إلى خطّ الآخرة في السير مع شريعة الله فيما ينعل وفيما يترك، وله أن يستغرق في الآخرة بما لا يمنعه من بناء الحياة والاندفاع معها على الأرُسس التي يريدها اللها.

وفي ضوء ذلك يمكن للأُمَّة أن تؤدي دور الشهادة على الناس باعتبارها تقف في نقطة التوازن التي ترجع إليها بقية الأطراف، كما يكون النبيَّ شهيدا ً على الأُمَّة لأنَّه المثال الأكمل الذي يوزن به حال الأجاد من الأُمَّة..

ويعلَّق صاحب تفسير الميزان على هذا التفسير للآية بأنَّ هذا المعنى في نفسه صحيح ولا يخلو من دقة

إ ّلا أنهّ غير منطبق على لفظ الآية فإن كون الأ ُمهّة وسطا ً إنما يصحّح كونها مرجعا ً يرجع إليه الطرفان وميزانا ً يوزن به الجانبان لا كونها شاهدة تشهد على الطرفين أو تشاهد الطرفين فلا تناسب بين الوسطية بذاك المعنى والشهادة وهو ظاهر على أنهّ لا وجه حينئذ للتعرض بكون رسول ا أ شهيدا ً على الأ ُمهّة، إذ لا يترتب شهادة الرسول على الأ ُمهّة على جعل الأ ُمهّة وسطا ً كما يترتب الغاية على المغيّ والغرض على ذيه.

ونحن نرى أن هذه الآيات تتحر ّك في نطاق الإيحاء للمسلمين بأصالة موقعهم في الحياة من خلال الدور الذي أعد ّه ا لهم في قيادة البشرية إلى الأهداف الكبيرة التي تتمثلٌ في الإسلام، الأمر الذي يجعلهم يتحر ّكون في الحياة من هذا الموقع ليكونوا شهداء على الناس في أفكارهم وأعمالهم باعتبار أنهم يدخلون في ضمن مسؤوليتهم، كما كان الرسول شهيدا ً على المسلمين من خلال مسؤوليته الرسالية عنهم فيما بلغهم أياه وفيما أرشدهم إليه.. وفي هذا الجو ّ لا نجد للوسطية معنى فيما حاوله هؤلاء المفسرون من الحديث عن التوازن الفكري والتشريعي في المواجهة الإسلامية للحياة، لأن ّ القضية ليست هي قضية الإيحاء للمسلمين بأن ّ عليهم أن قضية المخمون الإسلامي في صياغة الشخصية للإنسان المسلم، بل هي قضية الإيحاء للمسلمين بأن ّ عليهم أن لا يستسلموا للآخرين في الحصول على الثقة بالتشريع وبالمسار العملي، لأنهم لا يمثلون التبعية للآخرين، في مواقعهم بل القضية هي أن ّ الآخرين يدخلون في نطاق مسؤوليتهم باعتبار أنهم يحملون الرسالة القائدة، والدور القائد في التبليغ والتنفيذ.. كما كان الرسول بالنسبة إليهم فيما يبلسّغه الرسالة القائدة، والدور القائد في التبليغ والتنفيذ.. كما كان الرسول بالنسبة إليهم فيما يبلسّغه وفيما يهدى إليه..

ولعل ّطبيعة الشهادة على الآخرين أمام ا□ تقتضي أن يكون الشاهد في الموقع الأفضل من حيث الدور الذي أوكل إليه، ومن حيث السلوك الذي سار فيه كما هو الحال في الأنبياء بالنسبة إلى أُم ّمهم... وهذا ما يؤكّد المعنى الذي ألمحنا إليه... وربما يؤكّد ذلك ويوضحه ما ورد في الآية الكريمة.

(يَا أَيَّهُا السَّدَيِينَ آمَنهُوا ار°كَعُوا وَاسْجُهُوا وَاعْبُهُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْكَاهُمُ السَّهَ حَقَّ جَهَادَهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ السَّهَ حَقَّ جَهَادَهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَى اللَّهَ مَلَّ مَا أَبَيكُمْ الْبَيكُمُ وَي الدِّينِ مَن حَرَجٍ مَلَّهَ أَبَيكُمْ إَبِيكُمْ إِبَرَاهَ بِهَ هُوَ هُوَ الْعَيهُ هُوَ وَمَا جَعَلَ عَلَيهُ مَ الرَّسُولُ شَهَيدًا عَلَيهُ كُمْ وَتَكُونَ الرَّسُولُ شَهَيدًا عَلَيهُ وَاعْبَهُ وَ وَي هَذَا لَيِكُونَ الرَّسُولُ شَهَيدًا عَلَيهُ كُمْ وَتَكُونَ الرَّسَولُ الزَّكَاةَ وَاعْتَصَمُوا وَتَكُونَ الرَّوَ وَاعْبَهُ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهَ وَآتُوا الزَّرَكَاةَ وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهَ وَآتُوا الزَّرَكَاةَ وَاعْتَصَمُوا اللَّهُ مَا النَّاسَ فِي اللَّهُ مَا النَّهُ مَا النَّهُ مَا النَّاسَةُ مَا النَّهُ مَا النَّهُ مَا النَّهُ مَا النَّهُ مَا النَّهُ وَالْعَلَيْ الْعَالَةُ وَالْعَالَ الْعَالَالَ عَلَيْ الْعَلَيْ اللَّهُ الْعُولُ الْعَالَ الْعَلَيْ الْعَالَةُ وَالْعَلَيْ وَالْعَلَالَ الْعَالَالَةُ وَالْعَلَالَةُ وَالْعُولُ الْعَالَالَةُ الْعَلَيْ الْعَلَالَ الْعَالَةُ وَالْعُولُ الْعَالَةُ وَالْعَلَامُ وَالْعَلَالَةُ وَالْعَلَامُ الْعَلَالَةُ الْعَالَالَةُ مَا الْعَالَيْكُمُ الْعُلَالَ عَلَامِ الْعَلَاقُ وَالْعَلَالَةُ وَالْعَلَالَةُ الْعَلَالَةُ الْعُولُ الْعَلَالَةُ الْعُلَامُ الْعَلَالَةُ الْعُلَالَةُ الْعَلَالَةُ الْعَلَامُ الْعَالَالَةُ الْعُلَالَةُ الْعُلَالَةُ الْعَلَالَةُ الْعَلَالَةُ الْعَلَالَةُ الْعُلَالَةُ الْعُلَالَةُ الْعُلَالَةُ الْعُلَالَةُ الْعُلَالَةُ الْعَلَالَةُ الْعُلْعُلَامُ الْعُلَامُ الْعُلَامُ الْعُلْعُلِيْ الْعُلَامُ الْعَلَامُ الْعُلَالَةُ الْعِلْمُ الْعُلْعُلِيْمُ الْعُلِيْ الْعُلْعُلِيْلُولُوالِولُولُوالِولُولُولُولُولُولُولُوالِولِولُولُولُولُولُولُولُولُولُ الْعُلْمُ الْعُلَالَةُ الْعُلْمُ الْ

فإنّنا نلاحظ تفريع شهادة الرسول عليهم وشهادتهم على الناس على اجتباء ا∐ لهم وانضباطهم على الخطّ وقيامهم بالدور الموكل إليهم في العمل لأنفسهم وللأخرين.. أمّا الحديث عن التوازن في الإسلام فهو حقّ ولكن ذلك لا يعني أنّ الآية تسير في هذا الاتجاه في مضمونها الفكري.

## كيف نفهم الشهادة على الناس؟

أمَّا الشهادة.. فقد ذكر لها عدة معانٍ "منها" أنَّ المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحقَّ في الدنيا وفي الآخرة. كما قال: (و َج ِيء َ ب ِالنَّ َب ِي ِّينَ و َالشَّ ُه َد َاء ِ) (الزمر/ 69). وقال: (و َي َو ْم َ ي َق ُوم ُ الأش ْه َاد ُ) (غافر/ 51).

وقد أثار المفسرون اعتراضا ً في هذا المجال وخلاصته أن ّ الشهادة تفرض الموقع المتميز للشاهد على المشهود عليه، ونحن نعلم أن ّ الأ ُم ّة تجمع في جماعتها المطيع والعاصي والجاهل والعالم فكيف يمكن أن يكون الجميع شهودا ً في موقع الشهادة والجواب إن ّ الأسلوب القرآني قد جرى على الحديث عن البعض بصفة الكل ّ باعتبار اشتمال الكل ّ عليه، تماما ً كما قد حد ّثنا عن بني إسرائيل مع أن ّ الصفات التي ذكرها كانت صفات البعض... وعلى هذا فإن ّ كون الأ ُم ّة شاهدة يتحر ّك في نطاق وجود العناصر الكثيرة في داخلها ممن يصلحون لمثل هذا الموقع الكبير وهم الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التي تفهم الإسلام حق ّ الفهم وتعيه حق ّ الوعي وتمارسه حق ّ الممارسة وتحمله بروح رسولية رائدة.◄

المصدر: كتاب من وحي القرآن/ ج3